السنة الثالثة / العدد 66 / 01 آب 2017

sayı 66

الحرمل

Her Daim Özgürlük

الحرية دائماً

WWW.ALHARMAL.COM

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

رقص الذئاب..!

أخيراً فعلتها وزارة الخارجية والمغتربين السورية وقامت بخط رسالتين، وجهتهما إلى الأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس مجلس الأمن الدولي، تدين بهما جرائم التحالف الدولي في شمال وشرق سوريا، والتي تستهدف المدنيين والمنشآت الحيوية والبنى التحتية.

جاءت الرسالتان كحقيقة دامغة تؤكد مقولة «كلمات حق يُراد بها باطل»، وما يؤكد حقيقة ذلك ما فعله طيران النظام وحليفه الروسي، الذي كان يؤسس للمهمات القذرة، التي كان يضطلع بها النظام، وتكفل بها عبر عقد مبرم تحت الطاولة، لقتل المدنيين السوريين الأبرياء، الذين ما زالوا يعيشون في الأماكن التي خرجت عن سيطرته، ولكي يدخل النادي الدولي لمحاربة الإرهاب من أوسع أبوابه.

في الوقت الذي توجه وزارة الخارجية رسالتيها إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن في صورة تعكس حقيقة القاتل الذي يمشي بجنازة القتيل، يقوم النظام عبر وكلائه بعقد اتفاقات مع قوات سورية المدعومة من التحالف بإطلاق يدهم في منطقة الشامية، شرق الرقة، بدءاً من منطقة العكيرشي وصولاً إلى منطقة معدان، في محاولة بعث جديد لقوى النظام في المنطقة، من خلال ربط قوات العشائر، التي يقودها المتمرد تركي البوحمد مع قوات النظام في أطراف مدينة دير الزور، ويساعدها بهذه العملية الطيران الروسي بإسناد جوي، وهو ما قام به فعلياً، وأدى طيرانه المهمة على أكمل صورة من خلال مجازره الوحشية التي ارتكبها في مناطق الشريدة والمغلة والغانم العلي وزور شمر ومعدان.

أما لماذا اختارت قوات العشائر التقدم من قلب البادية باتجاه العكيرشي، فهو مؤشر إلى الترابط العضوي وإحياء للتفاهمات السابقة بين النظام وقوات قسد في تمرير النفط الخام من حقول الجزيرة إلى مصافي البترول في حمص والساحل، عبر الأنابيب التي تصل منطقة صباح الخير في المثلث الحدودي بين الحسكة ودير الزور والرقة، وصولاً إلى محطة الحمرات ثم إلى محطة ضخ العكيرشي، مروراً ببادية الشام، ثم إلى مناطق سيطرة النظام.

ينجح النظام في إدارة المنطقة عبر وكلاء على الأرض في التجارة البينية مع داعش ومع قسد، النفط مقابل الغذاء، أو النفط مقابل الدولار أو الذهب، وتبرز أسماء لمتنفذين في مجلس الشعب وفي مواقع أخرى من مراكز صنع القرار التي تشرف عليها الأجهزة الأمنية والعسكرية، وما حسام قاطرجي، وجورج حسواني، اللذان يديران لعبة التجارة البينية بين النظام وداعش وأمراء الحرب الآخرين، إلا تأكيد على مرامي النظام وحليفه الروسي في رسم المصالح المشتركة لمديري الأزمة في سوريا، وليس هناك أية مشكلة إن مات أهل الرقة والدير في مسلسل القتل اليومي الذي لا ينتهي.

النظام السوري، وإن لم ينجح في رسالتيه، لأن الأبعاد السياسية لمراميه مكشوفة، وجاءت في سياق إثبات وجوده كفاعل حقيقي على الأرض، وأيضاً هي لا تؤسس لقطيعة مع التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا، بل هي تأكيد جديد لحضور فاعل في النادي الدولي لمحاربة الإرهاب.

أما بالنسبة لائتلاف قوى الثورة والمعارضة السورية، فقد حاول هو الآخر إرسال رسالة إلى الجهات ذاتها عبر لجنته القانونية، في مسعى لإثبات وجوده، ويستنكر في بيانه جرائم التحالف الدولي وقوات سورية الديمقراطية، التي تقوم بأعمال إبادة وتهجير قسري، وتجنيد إجباري، وتغيير ديمغرافي للمناطق ذات الأكثرية العربية، لكنه فشل في تمرير رسالته بعد اعتراض المجلس الوطني الكردي عليها.

ما بين تفاهمات النظام المدعوم روسياً والتحالف الدولي مع قواته الحليفة، تضيع دماء أهل الرقة والدير هباءً، في ظل صمت وعجز دولي للمنظمات الدولية والإنسانية، وغياب للرأي العام العالمي.

موت يومي يطال البشر والشجر والحجر لا ترصده عيون البشر ولا كاميرات المراسلين والمحللين في احتفاء حالم لملوك الموت والدمار ممن أدمنوا القتل، وامتهنوا الرقص على جثث الأبرياء.

مدير التحرير: يوسف دعيس

أكثر من 220 شهيداً في الرقة
النظام يعود إلى الحياة في ريف الرقة الشرقي

الحرمل ـ خاص

ارتفعت فاتورة الدم التي يدفعها أهل الرقة خلال الأسبوعين الفائتين، مع دخول قوات العشائر التابعة للنظام على الخط من خلال تفاهماتها مع قوات قسد المدعومة من التحالف الدولي، والتي بدأت بتقدمها المدعوم بإسناد جوي روسي، ومهد الطريق لها باتباع سياسة الأرض المحروقة، ما أدى لحدوث مجازر وحشية في مناطق ريف معدان والسبخة.

وكانت قوات العشائر التي يقودها المتمرد تركي البوحمد قد أحيت بتواجدها في المنطقة مسألة غاية في الأهمية، يعمل عليها النظام، وهي متعلقة بنقل النفط الخام من حقول النفط في الجزيرة السورية عبر الأنابيب التي تمر من مواقع الإنتاج إلى محطات صباح الخير والحمرات ثم إلى العكيرشي في منطقة الشامية، مروراً بالبادية ثم إلى مصافي التكرير في حمص والساحل السوري.

وكما كان يفعل النظام عبر وكلاء محليين بعقد اتفاقات للحصول على النفط من داعش مقابل الدولار أو الذهب، وتمرير الغذاء

والـدواء للمناطـق الخارجـة عـن سـيطرته، مقابـل اسـتيراد القمـح والمنتجـات الزراعيـة الأخـرى، وهـو مـا يؤكـده بـروز أسـماء مثـل جـورج حسـواني وحسـام قاطرجـي، وغيرهـم ممـن تنشـط فعالياتهـم التجاريـة مـا بـين النظـام وأمـراء الحـرب وقـوى الأمـر الواقـع التـي تسـيطر عـلى المناطـق الخارجـة عـن سـيطرته. المجـازر الوحشـية التـي ارتكبهـا الطيـران الـروسي وطـيران النظـام، وقـوات العشـائر أكـثر مـن أن تحـصى، فقـد قـام مركـز التوثيـق في صحيفـة الحرمـل بتوثيـق استشـهاد أكـثر مـن 60 شـخصاً في مناطـق معـدان والسـبخة، وقـام الطـيران الحـربي باسـتهداف مخيـمات النـزوح العشـوائية في المنطقـة، ثـم تابـع قصفـه بالرشاشـات والقنابـل المواطنـين الهاربـين مـن جحيـم المـوت إلى الحقـول الزراعيـة، وكانـت الحصيلـة مفجعـة إذ ارتقـت عائـلات بأكملهـا، كـما حـدث لعائـلات خلـف الفالـح (تسـعة شـهداء)، وعبـد اللـه حسـن حـمادي (سـبعة شـهداء)، والمانـع والعسـاف (اثنـا عـشر شـهيداً).

ويقـول الصحفـي عـروة المهـاوش مسـؤول التوثيـق: المجـازر الوحشـية التـي ارتكبهـا النظـام وطـيران الـروس والتحالـف الـدولي، لم تقتـصر عـلى ريـف معـدان والسـبخة، بـل اسـتمر مسلسـل القتـل اليومـي بحصـد أهـل الرقـة، فقـد ارتقـى مـن أسرة الزنـة 17 شـهيداً في قصـف التحالـف لمنزلهـم وسـط مدينـة الرقـة، وارتقـت عائـلات بالكامـل مثـل عائـلات الجبـين والسـلامة والمجبـل، وبلـغ عـدد الشـهداء الذيـن ارتقـوا في محافظـة الرقـة خـلال الأسـبوعين الفائتـين ممـن اسـتطعنا توثيـق أسـمائهم أكـثر مـن 220 شـهيداً، منهـم 160 شـهيداً في الرقـة، نتيجـة قصـف الطـيران والقصـف المدفعـي والقنـص والألغـام والغـرق، وفيهـم أربعـة تـم إعدامهـم مـن قبـل عنـاصر داعـش، بينهـم أحـد مقاتـلي قـوات قسـد.

ويتابـع المهـاوش: إن عمليـات توثيـق استشـهاد المدنيـين عمليـة صعبـة جـداً، ونحـاول عـبر التواصـل مـع الداخـل بظـروف صعبـة جـداً تسـجيل الأسـماء وأماكـن حـدوث الواقعـات. أمـا بالنسـبة لحجـم الدمـار في مدينـة الرقـة، فقـد وصلـت إلى نسـبة 100% بالنسـبة للمبـاني الحكوميـة والبنـى التحتيـة، فيـما تجاوزت نسـبة الدمـار الـكلي في مدينـة الرقـة 40%، وحجـم الدمـار الحقيقـي يعكـس الصـورة الحقيقيـة لواقـع الحـال، ونظـرة التحالـف وقـوات قسـد والعشـائر التـي تنظـر إلى أهـل الرقـة كدواعـش في صـورة تعكـس غيـاب الإنسـانية والحـس الإنسـاني في التعامـل مـع سـكان الرقـة الأبريـاء، وكـما يفعـل التحالـف الـدولي في ممارسـة القتـل العمـد، تشـاركه قـوى العشـائر وقسـد، التـي تعيـد إنتـاج القتـل اليومـي الـذي كان يمارسـه النظـام المجـرم بحـق أهلنـا العـزل.

أمـا بالنسـبة للواقـع الميـداني فقـد أشـارت الأخبـار الـواردة مـن الرقـة بـأن قـوات داعـش اسـتطاعت التقـدم باتجـاه شرق الرقـة، واسـتردت جـزءاً كبـيراً مـن حـي الصناعـة، ومـا زالـت الاشـتباكات جاريـة إلى سـاعة إعـداد هـذا التقريـر، فيـما قـام التنظيـم باسـتخدام المفخخـات لإيقـاف تقـدم قـوات قسـد في منطقـة نزلـة شـحاذة، كـما قـام بتفجـير سـيارة مفخخـة في منطقـة الكرامـة.

القـوى المتحاربـة عـلى الأرض لم تـترك خيـاراً للنجـاة لأهـل الرقـة، فقـد غابـت الطـرق الآمنـة لخـروج المدنيـين، ومـن يسـتطيع الخـروج مـن الرقـة، تنتظـره طلقـات القناصـين المنتشريـن عـلى أطـراف المدينـة مـن الطرفـين، وإن نجـا أحـد منهـم، فالمـوت ينتظـره بمخلفـات الألغـام التـي زرعهـا التنظيـم بـالأراضي الزراعيـة والطـرق والبيـوت التـي يتركونهـا خلفهـم، أمـا حـال جثـث المدنيـين الذيـن يقضـون نتيجـة القنـص أو الألغـام، فـلا تجـد مـن ينتشـلها لصعوبـة المـرور في هـذه المناطـق، مـا أدى لتفسـخ معظمهـا، فيـما بعـض الجثـث مـا زالـت تحـت الأنقـاض لتعـذر انتشـالها.

الوضـع الصحـي يشـهد تدهـوراً كبـيراً نتيجـة خـروج معظـم المشـافي عـن الخدمـة، وتوقـف العمـل في أكـثر مـن قسـم مـن المشـفى الوطنـي في الرقـة، في ظـل غيـاب كبـير للـكادر الطبـي، وندرة الـدواء، وتعـذر إسـعاف المصابـين نتيجـة أعـمال القنـص والقصـف المتتابـع، إضافـة لقيـام الطـيران المسـير مـن دون طيـار بقصـف أيـة آليـة أو حركـة عـلى الأرض.

إنسـانياً تشـير الأرقـام إلى أن سـكان الرقـة المدنيـين ممـن آثـروا البقـاء في المدينـة يتجـاوز عددهـم الخمسـين ألفـاً، يعانـون مـن نقـص كبـير في المـواد الغذائيـة والخضـار، نتيجـة عـدم سـماح قـوات داعـش وقسـد بدخـول أيـة سـيارة إلى المدينـة خوفـاً مـن وجـود أسـلحة أو ذخـيرة أو متفجـرات ضمـن حمولتهـا، مـما اضطـر بعـض العائـلات الاعتـماد الـكلي عـلى البقوليـات المخزنـة والخـضروات المجففـة، وهـي عرضـة للنفـاد في وقـت قريـب.

وأشار بعصاه.. هنا قبري..!

عروة المهاوش

لم تنفع محاولات أبنائه المستمرة ولا استعطاف قلبه الكبير بدموع منهم على يديه المباركتين، ولا دموع أحفاده حين حاصر الموت والقتل مدينة الرقة من كل جانب، قالها بكلمة واحدة لأبنائه وهم الذين يعلمون حين يقول لا يتراجع أبداً: هنا قبري وأشار بعصاه نحو زاوية البيت، وكيف لا يفهم الأبناء أن الروح تخرج من الجسد حين يغادر كبير البيت العش الذي ولد به وتربى أطفاله فيه، ففي هذه الزاوية من البيت ولد الابن البكر، وفي تلك الفسحة كان ملعبه مع أخواته، وهنا كان عرس الأصغر منهم، وهنا قبري.

أشاح بوجهه المنير نحو اليمين قليلاً حين قبل رأسه آخر المغادرين نحو الشمال القاتل، يحبسها في المحاجر مثل كرة البارود فولاذية، يشير بيديه لمن حوله أن التزموا الصمت، ويطرق برأسه ليسمع وقع خطوات المغادرين على الأرض، يعد الخطوات ويعرف كم بقي لهم حتى يصلون إلى الباب الخارجي، يسمع صرير الباب الحديدي قد فتح، ينصت بانتباه شديد، وتتسارع نبضات قلبه، لا شيء سوى نحيب الوداع وصوت البكاء يصم أذنيه التي اعتادت صوت ترتيل الآيات وصوت الآذان والدعاء، دمعتان تبلل لحيته البيضاء لحظة إغلاق الباب، فقلبه يخبره أن من خرج لن يعود أبداً فهذا الوداع الأخير، يستحضر كل أدعية السفر في قلبه، ويكثر منها متضرعاً لربه أن يحميهم من شرور الطريق ليصلوا مبتغاهم سالمين آمنين.

اسقِ العطاش..!!

قبل أسبوع من اليوم فجع الشيخ بأكبر أبنائه محمد الذي رفض أيضاً مغادرة المدينة والحي والبيت، والذي لم يسبقه أحد قبلاً من أبناء الرقة بفعل الخير وتقديمه للناس، مآثره كثيرة، وخفية أيضاً وغير ظاهرة للعيان فكم من عوائل فقيرة عاشت برعايته وبفضل من الله، في سنين شبابي صليت كثيراً بجامع الليلات في شارع سيف الدولة، وكنت على إطلاع لرفض وزارة الأوقاف لرفض استلام الجامع من المتبرعين حتى تنفيذ الشروط المتبقية، وهي بناء محلات تجارية ومبنى لسكن الإمام، بعد سنوات كثيرة تم الأمر، وتم تسمية الجامع «مسجد عمر بن الخطاب» وبقي في الذاكرة اسمه القديم «جامع الليلات».

حين اشتد القصف على الرقة وبات من المستحيل على الأهالي جلب المياه من نهر الفرات، حفر بئراً أمام بيته في الثكنة كي يخفف من فاتورة الدم التي أصابت أهل مدينته، رغم كل مخاطر الأمر إلا أنه فعلها لوجه الله تعالى، لم يستثنه الموت غدراً فارتقى إلى بارئه مبتسماً.

شيخ الشهداء التسعيني

في ثمانينات هذا القرن سكن الشيخ في الثكنة، لم يكن ليستطيع العيش بمكان لا مسجد فيه، كان يبحث عن صوت الآذان الذي يطرب مسامعه، ولم يكن أيضاً الوضع الأمني ليسمح بفكرة بناء جامع فقد كانت المضايقات الأمنية على أشدها حينها وتهمة الإخوان المسلمين جاهزة لكل ذي ذقن ويتردد باستمرار على الجامع لأداء فرائضه، لكنه استخار ربه وبقوة إيمانه اشترى أرضاً صغيرة قريبة من بيته، وبمساعدة من أهالي البر والخير استطاع أن يسمع أخيراً الصوت الذي يحب سماعه بجانب بيته، بيته قبره الذي دُفن بقربه يوم أمس كي يسمع دوماً صوت المؤذن داعياً الناس للصلاة.

القصف وسوق الرقة ودكان اللّيلات

إبراهيم العلوش

في السبعينات من القرن الماضي كانت لوحات دكاكين سوق الرقة هي مجالنا للتدرب على القراءة، إذ نذهب إلى السوق ونبدأ بقراءة الآرمات السوداء المستطيلة المثبتة على أبواب المحلات الخشبية أو على جوانب المحلات ذات الأبواب المعدنية، نبدأ بالقراءة بصوت عالٍ ليرضى عنا أهلنا أو ليقرروا لنا مكافأة صغيرة مثل «قبطة» من السكاكر أو «لفة فلافل» أو غيرها مما يُفرح الصغار. ننقسم إلى مجموعات على اليمين وعلى الشمال، ونبدأ بالصياح، دكان قاسم الكبّة فاتورة، محل حج حسين الحليسي فاتورة، محل صبحي عويرة، عطارة، محل محمد العبود الغوزي فاتورة، محل صباح ضبة... ومحلات تتناوب بين الألبان والأجبان والفاتورة والعطارة والبقالة والأدوات المنزلية بما فيها صيدلية فاضل الحسن وصيدليها الدائم محمد علي والتي كانت استثناء في التصنيف وفي لونها الأحمر المميز، وعندما نصل إلى محل الأخوين أحمد وحمادي الليلا- فاتورة نلتقط أنفاسنا ونستريح على الرصيف قبل أن نكمل باتجاه محل التوتنجي وفاروق النحاس وصولاً إلى حدادي السوق الشرقي.

في النهار نأتي إلى السوق مع ذوينا، ونتفرج على المحلات التي تعج بالأقمشة وسطول اللبن والجبن وبأغراض البقالة، وبالصياح وتبادل التعليقات بين أصحاب المحلات، الذين يسخرون من بعضهم البعض، ومن المارة وحتى من زبائنهم وخاصة بعدما يخرجون من المحلات.

ثمّة زبائن في المحلات لا يشترون شيئاً ويديمون الجلوس عند صاحب الدكان الذي يكون بمثابة مندوبهم، ومساعدهم في تدبير أمور الحكومة، وشراء الأدوات الغالية كالراديو والتلفزيون، وتسجيل الأولاد في النفوس: أو لتبادل الاخبار مع أبناء الأرياف الأخرى الذين ينزلون إلى الرقة من الريف الشمالي أو الشرقي أو الغربي وإن كان شارع تل أبيض قد خطف زبائن الريف الشمالي والغربي، وهرب بهم بعيداً باتجاه صيدلية الخضر ودوار تل أبيض عند محطة حسن العجيلي ودوار السور.

من بين الذكريات التي ما تزال تتردد في ذهني وخيالي هو محل الليلات الذي كان يرتاده أهلي، كان المحل كبيراً، وواسعاً ومتعدد العمال، والأصحاب بالإضافة إلى الأخوين أحمد وحمادي الليلا، كان الغزال وعزوز وأبناء المالكين والشركاء والعاملين، حتى تظن إنك تدخل إلى مؤسسة وليس إلى مجرد دكان صغير، وكانت ألوان أقمشة الفاي، والكودري، والبوبلين، والأطلس، والهباري، والمحارم الملونة، والتركال، والجوخ، والترون، والووتر بروف ثلاث سبعات ذات اللون الخاكي الذي نجبر على لبسه، لأنه يتحمل ظروف الحر، والإهمال والتشرد في الأزقة والحارات، التي تبدو كبادية قاحلة وخالية من الألوان ومن الرسوم، ذلك قبل عصر الكلابيات الخليجية البيضاء والملونة.

كانت النسوة الرقاويات يستمتعن بالألوان وسط القفر الصحراوي والذكوري الذي تشكله كلابياتنا وأجواء مدينتنا القاسية والقاحلة. ولكن الفتاة الشابة لا تستمتع بتلك الأقمشة والألوان إلا عندما تعلن استسلامها للأمر الواقع وترضى بالعريس الذي فرض عليها ذات ليلة ودون استشارتها أو أخذ رأيها، ولا بد لها من الاستسلام فغالبية الذكور الذين يعشقون الفتيات والنساء يحجمون عن الزواج بهن بسبب أحلامهم الخيالية بأنهم لن يتزوجوا إلا فتيات صغيرات، أو شابات بلهاوات في مجال الحب الذي يتصورونه نوع من الامتلاك، وليس تفاعلاً وجدانياً وإنسانياً، ويشترط بالزوجة القادمة ألا تعرف ذكراً قبله أبداً، فحبيبته هذه التي تقصم قلبه صارت مستعملة بنظره، ولا يجوز أن يتزوجها، وحتى لو أراد أن يفعل ذلك ويتزوجها فإن أهله يرفضون رفضاً قاطعاً هذا الزواج فالمرأة العاشقة بنظرهم مشروع فاشل للزواج، وقد منع العرب قديماً على أبنائهم مثل هذا الزواج من الحبيبات، ولعلّ قصة قيس وليلى وغيره من قصص العشاق والمولهين بحبيبات يرفض أهلهم تزويجهم بهن، تملأ صفحات الكتب ودواوين الشعر وسير العرب، فرغم حب العرب للشعر والغزل فإنهم يعتبرونه نوعاً من التشبيب، الذي يؤدي إلى منع الزواج القائم على هذا الحب والغزل الشعري، لعلهم كانوا يعتبرون الحب نوعاً من الفجور أو من بداية الفجور واللهو.

وقد ازدهرت تجارة الليلات بالعمل والإصرار ليتفوقوا على السوق، بعدما جاء الأخوان أحمد وحمادي إلى الرقة قبل أكثر من سبعين عاماً، وساهما ببناء التجارة في الرقة ونشر ثقافة اللون والجمال بأقمشتهما الجميلة.

في اليوم الأول لمجيء العروس إلى دكان الليلات تأتي شبه باكية على حبيب كانت تضمر الزواج منه، أو في محاولة للتمرد على ما يفرض عليها من دون إرادتها، فهي تتزوج بإرادة أهلها ومصالحهم ورأيهم وتقاطعات النسب والأمراض المتوارثة، وغيرها من العوامل التي تدخل في صفقة الزواج الذي يتم انتزاع الموافقة فيه بالمهر العالي والذهب والتجهيز (الزهاب)، وأحياناً يتم الاتفاق على محل التجهيز أو (الزهاب) حصراً لدى محل الليلات أو غيره من المحلات ذات السمعة الحسنة والتشكيلة التجارية الواسعة والثمينة من الأقمشة.

اليوم سوق الرقة ومسار مشاويره وزيجاته وثاراته البسيطة، تحت القصف ولا أحد يعرف مآل الدكاكين المتقابلة من الساعة إلى باب بغداد فالدمار والخراب طال تاريخاً غير مدون من الفرح ومن الحزن، فالعشاق أيضاً كانوا يتلاقون في سوق الرقة بعيداً عن أعين أبناء قريتهم، ويبنون بدايات قصص الحب التي تنتظر مصيرها في وسط الحر والجفاف والسطوة الذكورية والعشائرية التي تفرز الأشياء وفق منطلقها المتوارث عبر مئات السنين.

قبل أيام استشهد الحاج أحمد ليلى أحد مالكي محل الليلات الشهير، بقذيفة لا يعرف مصدرها أهو من قسد أم من التحالف الدولي الذي يدمّر الرقة بحثاً عن عدد من الدواعش الذين جرّوا الدمار إلى الرقة، وإلى أهلهم، وجعلوا كل سفلة الأرض ومجرميها يشاركون بتدمير الرقة وسوقها وبيوتها وأهلها.

كان الحاج أحمد ليلى من أتباع طريقة صوفية وجلسات أسبوعية للذكر ينظمها في بيته، وله فضل كبير ببناء جامع عمر بن الخطاب في شارع سيف الدولة المجاور لحارتنا، وكان اسم الجامع سابقا (جامع الليلات) كما كنا نطلق عليه لعدة سنوات، قبل أن تسميه الأوقاف باسم جامع عمر بن الخطاب.

في المسير إلى دفن الحاج أحمد ليلا في مقبرة الشهداء الرقيين، تخيلت مساحات البوبلين، والفاي، والمخمل، والكشمير، والاطلس، وهي تلون الأجواء حول جنازة الشهيد الشيخ الذي ذهب إلى حديقة الحي، وكأنه يذهب في مشوار صباحي يتأمل فيه الورود والأوراق التي طالما عايشته في هذه الحديقة، وكما عايشها على طابات القماش الملونة والمزهّرة، التي كانت ينبوعاً يتدفق بالجمال والتنوع، وسط تشابه الأشياء ورماديتها التي كانت تخنق الرقة في صيفها الثقيل بالحرمان والإهمال، ويضاف اليوم إليها الحصار وقصف القنابل والصواريخ لتزيد بؤس الرقة وأهلها فوق بؤسهم وحاجتهم وعزلتهم عن العالم..

تحية لشهداء الرقة الذين اتخذوا من الحدائق مقرات لهم، وتحية لأهل الرقة وهم صامدون فيها، رغم قسوة القصف، والحصار، وتنكيل الدواعش بهم.. ولا بد للفرات من أن يسقي أشجاراً وروداً وحياة جديدة.

سلوك وما حولها..
سيرة بعث وثورة متعثرة وجهاد وكومينات

تقرير عين المدينة

في هذا الملف تتوقف «عين المدينة» عند محطات من تاريخ منطقة سلوك بريف الرقة، من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتحاول أن تروي حكايتها مع السلفية الجهادية، وأن تقف على واقعها وأحوال أهلها اليوم، وتعرض مواقف بعضهم مما يجري تحت سلطة حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD) وإدارته الذاتية.

شمال الرقة بنحو 75 كم تقع ناحية سلوك التي تضم، إلى جانب البلدة أو مركز الناحية، أكثر من 300 قرية ومزرعة وتجمع سكاني صغير، ممتدة على مساحة شاسعة بين مدينتي تل أبيض ورأس العين من الغرب إلى الشرق، والحدود التركية وطريق حلب الحسكة من الشمال إلى الجنوب. يقدر عدد سكان الناحية بـ77 ألف نسمة، وعدد سكان مركزها بلدة سلوك بـ24 ألفاً.

يتحدر غالبية سكان المنطقة من قبائل (طي؛ جيس؛ النعيم؛ البقارة؛ عنزة) العربية، إضافة إلى التركمان في بعض القرى. ويعود تاريخ نشأتها الحديثة، حسب مرويات شفوية، إلى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، حين استقرت بعض العائلات قرب نبع ماء جار في سلوك وامتهنت الزراعة إلى جانب مهنتها الأصلية في تربية الماشية. وقوع سلوك على ما يعرف بـ«خط العشرة» غزير الأمطار، وتربتها الخصبة، شجعا ظاهرة التحول إلى الزراعة بشكلها البعلي، خاصة في النصف الأول من القرن العشرين. وحسب ما يروى أيضاً، أُسس أول مخفر في المنطقة عام 1954، ثم أول مدرسة ابتدائية عام 1962. ولعل الصدفة التي جلبت معلّمَين بعثيين إلى هذه المدرسة، أحدهما من السويداء والآخر من درعا، كانت سبب الحضور المبكر لحزب البعث، ثم انتشاره واتساع تأثيره بعد توليه السلطة في آذار 1963. لعب البعثيون الأوائل آنذاك أدواراً هامة في تطوير الزراعة عبر قوانين الاستصلاح الزراعي والتأميم وجمعيتهم الفلاحية التي أسسوها عام 1966 -رغم مآخذ كبار الملاكين - فضلاً عن دورهم في التشجيع على التعليم، ما جعل نسبة الخريجين الجامعيين لاحقاً في سلوك أعلى منها في البلدات المجاورة. وإلى جانب التعليم والزراعة استطاع البعثيون التأثير على الرأي العام وربطه بقضايا السلطة البعيدة في دمشق وأدبياتها، إلى درجة أن شباناً من البلدة تطوعوا وحفروا خنادق دفاعية حولها استعداداً لمعركة لن تأتي أبداً مع العدو الصهيوني الذي احتل الجولان وقتها وألهب -باحتلاله هذا- الحماسة والرغبة العارمة في القتال لدى بعثيي سلوك، على وقع أغنيات الحرس القومي والفدائيين الفلسطينيين.

خلال ثلاثين عاماً من سلطة البعث بعد ذلك تغيرت سلوك وتغير بعثيوها وأغنياتهم من «يا يما اعطيني البارودة»، وقت حفر الخنادق أواخر الستينات، إلى «وردة وردة عالقطن تعالي» وقت الاحتفالات بحضور أمناء فرع الحزب الزائرين أواخر التسعينات. بعد عامين أو ثلاثة من انقلاب حافظ الأسد عام 1970 غار نبع الماء وتلاحقت سنوات الجفاف. ثم ألقي القبض على كثير من حفاري الخنادق الدفاعية بتهمة الولاء لليمين العراقي، وقضى بعضهم سنين طويلة في السجون. وتزامن ذلك مع خروج الدفعات الأولى من أبناء المنطقة بحثاً عن فرص عمل في الأردن ثم لبنان بعد انهيار الزراعة.

مطلع الثمانينات سمح بحفر الآبار الارتوازية فتحسنت الأحوال قليلاً، إلى حين صدور قانون الاستثمار رقم (10) والقوانين اللاحقة أول التسعينيات، والتي دفعت باتجاه اقتصاد السوق، ما ضاعف تكاليف الإنتاج الزراعي وأثقل بالفعل كاهل الفلاح الذي لجأ إلى الاقتراض من المصرف الزراعي، ثم التواكل عليه من موسم إلى آخر، ليتحول الفلاحون في النهاية إلى ما يشبه الأجراء في أراضيهم، مشغولين دوماً بالتملص من سداد القروض وتهريب محاصيلهم أو أجزاء منها إلى خارج دورة التسويق الحكومية المفروضة. لتتجدد، في سنوات حافظ الأسد الأخيرة، ظاهرة العمالة في لبنان. أما في عهد بشار فأتاحت «مسيرة تحديثه وتطويره» أبواب اقتراض جديدة تحت عناوين مكافحة البطالة ودعم التنمية وتمكين المرأة الريفية وغير ذلك من فرص برع كثيرون في اقتناصها دون سداد لاحق، ولم ينفذ بالطبع شيء من هذه المشاريع على أرض الواقع.

الجهاد في مخفر الزيدي

في النصف الثاني من التسعينات كان ابن قرية الكنيطرة التابعة لسلوك، هادي العكال، طالب ثانوية شرعية في مدينة الرقة عندما سمع بالشيخ سالم الحلو (انظر «الرقة وتحولاتها» في العدد 93 من «عين المدينة») وأعجب بدعوته السلفية بعد دروس قليلة. وعندما انتقل العكال إلى دمشق للدراسة في كلية الشريعة تعرف على دعوة سلفية أخرى في حلقات خارج الجامعة خلقت وعيه الجهادي الخاص. ويقال إن هذه الحلقات الصغيرة وشبه المغلقة غذت فئة سلفية ضئيلة كانت ضمن من ذهبوا للقتال في العراق بعد الغزو الأميركي عام 2003، فيما بقي هادي في سورية ليتم دراسته ويبزغ نجمه في الأوساط الجهادية النظرية الضيقة، نظراً لما تمتع به من جدل وقدرة عالية على الحفظ وبراعة في تقليد قرّاء مشهورين. وحتى ذلك الوقت لم يكن له أي تأثير في قريته أو في مجتمع سلوك الأوسع، لكن حادثة وقعت في حزيران 2008، كان بطلها، أسمعت الكثيرين من أبناء

المنطقة باسمه وربما بالسلفية الجهادية لأول مرة. حين حرّض على عملية خرقاء نفذها 6 من أقاربه انطلقوا على ثلاث دراجات نارية تجاه مخفر قرية الزيدي (50 كم جنوب شرق سلوك) وأسروا الشرطي الوحيد المداوم يومها وقيدوه واستولوا على أسلحة المخفر ثم لاذوا بالفرار. ألقي القبض على المجموعة بعد ساعات، وسيق هادي والآخرون إلى سجن صيدنايا بعد رحلة تحقيق طويلة في أفرع المخابرات، ولم يخرج منه إلا بعد الثورة مساقاً إلى الخدمة العسكرية في درعا، لينشق هناك ويمكث لأشهر في بلدة تسيل. لم يرجع العكال إلى سلوك إلا أول خريف 2012، بعد تحريرها وتحرير تل أبيض التي أسس فيها هيئة شرعية مستقلة نافست، بحضوره المؤثر، هيئة شرعية أخرى كانت قد أسستها جبهة النصرة، قبل أن يقتل في شباط 2013 في ظروف غامضة تعددت فيها الأقوال. فيما تأخر خروج «أولاد دعوته» حتى آذار 2013، مع تحرير سجن الرقة الذي نقلوا إليه.

حادثة أخرى من الطابع نفسه وقعت في عام 2006، قتل فيها مسؤول منطقة سلوك في المخابرات العسكرية، المساعد أول أحمد حسنة، على الطريق بين تل أبيض وسلوك، وسجلت في النهاية ضد مجهولين رغم بعض الشبهات التي حامت حول ابن عم بعيد لهادي العكال هو خلف ذياب الحلوس. الذي سيكون له، رغم تواضع تحصيله العلمي (ابتدائية) وعصبيته، تأثير كبير في مجريات الأحداث بعد اندلاع الثورة، ربما يعود إلى صلات جهادية خاصة أقامها خلال عمله في الخليج قبل أن يطرد، ومتّنها في العراق حتى عاد في 2005

من كتيبة القادسية إلى داعش

لم يعرف في منطقة سلوك قبل الثورة أي سلفي جهادي سوى هادي العكال وخلف الحلوس وشابين أو ثلاثة من أقاربهما تأثروا على البعد بهادي. إضافة إلى شخصين آخرين ذهب أولهما إلى العراق وعاد سلفياً منطوياً على نفسه، وآخر، وهو معلم مدرسة، اعتقل لعدة أشهر. سينخرط بعض هؤلاء بعد اندلاع الثورة في كتيبة القادسية التي تأسست باتحاد عدد من المجموعات في شباط عام 2012. ولسوء حظ هذه الكتيبة تولى فيصل البلو، ابن تل أبيض المجاورة وأحد سجناء صيدنايا المطلق سراحهم، قيادتها، إلى جانب قائدين آخرين قتل أولهما، وهو معلم المدرسة السلفي المذكور سابقاً، بعد أيام من تأسيسها، وقتل الآخر بعده بقليل. ساير البلو مقاتلي القادسية بتبنيه الظاهر لعلم الثورة، قبل أن يجرّهم بالتدريج نحو حركة أحرار الشام طمعاً بالاستفادة من دعمها المالي، مخفياً ميوله الحقيقية نحو جبهة النصرة حديثة الولادة –نهاية 2011- آنذاك في دير الزور. وإلى هناك كان خلف ذياب الحلوس دليله إلى الشرعي العام السابق لجبهة النصرة أبو ماريا القحطاني، فبايعه سراً وعاد برفقة ثلاثة أشخاص أرسلهم الأخير، هم أبو محمد الجزراوي كشرعي، وأبو أنس العراقي وأبو عبد الله الديري، علي موسى الشواخ، كأمنيين، فيما تولى هو، بتعيين من القحطاني، إمارة المنطقة. شكل الخمسة الخلية الأولى للنصرة في محافظة الرقة، واتخذوا من هيئة شرعية أسسوها غطاء لهم، ومن قرية «بير محيسن» القريبة من سلوك مقراً ومعقلاً. وظل البلو قائداً للقادسية التي أخذت تتآكل بتأثير منه ومن رفاقه الآخرين لصالح جبهة النصرة، إلى أن انحلت الكتيبة بعد تحرير مدينة تل أبيض في أيلول 2012، وحينها أسفر البلو عن وجهه الحقيقي وأعلن بيعته السابقة لجبهة النصرة. فالتحق الجزء الأكبر من عناصر الكتيبة بالجبهة، فيما انضم الباقون إلى حركة أحرار الشام.

في الأشهر السابقة على تحرير سلوك ثم تل أبيض، في شهري آب وأيلول 2012، بنت جبهة النصرة سمعة أكبر من حجمها الحقيقي الذي يقدره بعض أبناء المنطقة المعايشين للأحداث بنحو (20-30) عنصراً فقط، لكن البطش والجرأة على القتل والتنظيم الذي تمتع به هؤلاء، فضلاً عن العمل الأمني

المنظم، عززت من صورتها كفصيل ذي وزن. عامل آخر أسهم في تعميق حضور النصرة هو هيئتها الشرعية ذات الأحكام القاسية على جنود جيش النظام المستسلمين وعلى مختطفين بتهمة التشبيح ظلماً وحسب هوى الحلوس المهووس بالخطف والتربص بالموظفين الحكوميين على الحواجز شمال مدينة الرقة قبل أن يرموا في حفرة الهوتة السحيقة (انظر «الهوتة» لأحمد إبراهيم في موقع الجمهورية). صورة الهيئة هذه، وفتاوى قاضيها الجزراوي التي شرّعت للمرة الأولى استباحة الممتلكات العامة كغنائم، جعلتا منها محل إعجاب لم تنله هيئات شرعية أخرى، فصارت محكمة ترفع إليها الشكاوى وتفضّ فيها الخصومات بين كتائب الجيش الحر.

منذ مطلع العام 2013 وحتى ربيعه، وقبل إعلان قيام «الدولة الإسلامية في العراق والشام» في نيسان، ارتفع عدد المنتسبين إلى جبهة النصرة من أبناء سلوك حتى وصل، حسب تقديرات، إلى نحو 100، التحق معظمهم بداعش بعد تأسيسها وظلت قلة في النصرة. وتراجعت بعد ذلك أهمية سلوك وحضورها في المشهد الأوسع الذي احتلته داعش، إذ هُمّش الحلوس وترك «الدولة» غاضباً إلى إدلب حيث التحق بجند الأقصى، إلى أن عاد مع الهاربين منهم إلى داعش في العام الماضي، وكذلك حال فيصل البلو، واختفى ذكر العراقي والجزراوي، وصعد أبو عبد الله الديري، بلقبه الجديد «أبو لقمان»، وصار والي داعش على الرقة، كما هو معروف.

بلغت داعش أوج قوتها بعد نجاحها في السيطرة على الفرقة (17) ثم اللواء (93) ثم مطار الطبقة في الشهرين السابع والثامن من 2014، حتى نهاية العام حين بدت ملامح الهزيمة في معارك عين العرب/ كوباني، ثم لتبدأ مساحات سيطرتها في ريف الرقة الشمالي بالانحسار، لتطرد باكراً من سلوك في 12 حزيران 2015، وبعدها بأيام من تل أبيض.

تهجير وإدارة ذاتية

يشعر ثوار سلوك ومثقفوها بالغضب من السمعة التي التصقت بالمنطقة كحاضنة للدواعش، ويرون فيها ظلماً وتسرعاً. وحسب ما يقدرون فإن مجموع من انتسب إلى داعش من أبنائها لا يزيد على 200 شخص، وهو عدد قليل بالقياس إلى 77 ألفاً من السكان. لكن انتماء الحلوس إلى واحدة من قراها، ثم انطلاق الخماسي الذي بنى النصرة فداعش من قرية أخرى فيها، لأسباب تتعلق بالموقع أكثر مما تتعلق بالمجتمع، هما سبب إشاعة هذه «السمعة الباطلة» التي تلقفتها السلطة الجديدة ممثلة بالـPYD لتفعل بأهلها ما تشاء، من تهجير وقمع واضطهاد دون رادع، حسب ما يقولون.

في تقرير منظمة العفو الدولية Amnesty «لم يكن لنا مكان آخر نذهب إليه»، الصادر في تشرين الأول 2015، تثبت «انتهاكات خطيرة تضمنت التهجير وهدم المنازل» في مناطق بمحافظتي الحسكة والرقة، بينها بلدة سلوك وبعض القرى التابعة لها، ترقى إلى جرائم حرب. كان لهذا التقرير ولتقارير حقوقية أخرى، حسب ما يرى المحامي والناشط الحقوقي أنور الكطاف ابن بلدة سلوك، دور في محاولات PYD تحسين صورته بالسماح بعودة بعض سكان القرى المطرودين من بيوتهم. إلا أن عودة أهل سلوك -أو بعضهم- تأخرت حتى نيسان الماضي، بعد أن ظلوا مشردين لمدة 22 شهراً تقريباً. يصعب اليوم إحصاء أعداد العائدين إلى بيوتهم في ظل سلطة PYD، ويصعب أيضاً الوصول إلى تقدير دقيق لأعداد النازحين، نظراً لتوزعهم بين مناطق تقع تحت سلطة PYD وسلطة داعش وفي المناطق المحررة في الشمال السوري وفي مخيمات ومدن اللجوء في تركيا. ويعدد الكطاف قرى نص تل والكنيطرة والأصيلم

التي ما يزال أهلها مطرودين من بيوتهم حتى اليوم.

في عهد داعش اعتقل التنظيم الكطاف لمدة 40 يوماً، وتعرض للتعذيب على يد الأمنيين، وهدده أبو لقمان بذبحه وإلقائه في الهوتة، وصودر بيته حتى صادره PYD ثانية وقت دخوله سلوك وعدّه من أملاكه! يقول الكطاف: داعش سلطة احتلال يقودها أجانب وPYD سلطة احتلال جديدة يقودها أجانب أيضاً. والسوريون في كلا الحالتين مجرد أدوات وواجهة للقادة الحقيقيين وراء الستار. ويرى أن النقاش حول تجربة PYD في الإدارة والخدمات وغير ذلك نقاش في غير محله، لأن القضية هنا قضية وجودية تتعلق بهوية المنطقة وبقاء مجتمعها العربي، فهذه السلطة سلطة احتلال محض. غير أنه يتنبأ بفشل تجربتها حتى في الخدمات والإدارة العامة، لأنها تعتمد الولاء السياسي كمعيار وحيد، مما أدى إلى أنها اختارت أشخاصاً معروفين بفسادهم وانعدام وزنهم وعيّنتهم في مناصب مختلفة. عيسى الحميد (57 عاماً)، موظف حكومي سابق وناشط ثوري، يؤكد هو الآخر ما ذهب إليه الكطاف، ويروي حادثة استدعائه من أحد قادة PYD الأمنيين حين اتهمه بأنه طالباني منذ 25 عاماً، في حين أنه كان في ذلك الوقت شيوعياً نشطاً وظل كذلك حتى عام 2000، كما يقول ضاحكاً. قبل أشهر جاء الحميد هارباً إلى تركيا خوفاً من الاعتقال، وبعد أن صودرت محطة وقود كان يملكها. وكان، مثل عشرات الآلاف غيره من أبناء سلوك، ممنوعاً من العودة إليها، ونازحاً من قرية إلى أخرى. «سنة عند داعش وسنة عند PYD تعادل كل سنين حياتي»، يقول الحميد: «اتهمتني داعش بالردة وكل يومين والثالث أتهدد بالقتل، واتهمني PYD أني طالباني بالأول وبعدين داعشي».

معلم مدرسة سابق من سلوك (طلب إغفال هويته) كرر الموقف الرافض للإدارة الذاتية، وعدّها «كياناً انفصالياً قمعياً ظالماً، اعتقل عشرات الشبان فقط لأنهم شاركوا في الثورة»، كما أنه «يجند القاصرين والأطفال»، ويعتمد على شخصيات عربية انتهازية فاسدة هم أقرب إلى المخبرين منهم إلى المسؤولين المحليين والمدراء، حسب ما يقول.

ويقدّر محام (طلب إغفال اسمه أيضاً) متابع لملف معتقلي سلوك في سجون pyd، عددهم بأكثر من 150 شخص، معظمهم كانوا منخرطين في الحراك الثوري، ناشطين مدنيين أو مقاتلين في كتائب الجيش الحر. ويستغرب المحامي اللاجئ اليوم في تركيا كيف لدواعش معروفين أن يخرجوا بعد شهرين أو ثلاثة وينضموا إلى قسد، فيما «ينام» من كانوا ثواراً سنة وسنتين في سجون الحزب الذي يصفه بأنه «تابع عضوي للنظام» وجزء لا يتجزأ منه.

أول عام 2016 انتزعت سلطات الإدارة الذاتية سلوك من تابعيتها الإدارية لمدينة تل أبيض وألحقتها بمدينة رأس العين التابعة لـ«كانتون الجزيرة»، فيما ألحقت تل أبيض ذاتها بـ«كانتون كوباني». في خطوة تجد تفسيراً واحداً لدى الأهالي، هو تحطيم أكثريتهم السكانية العربية الساحقة في مساحة تمتد 100 كم تقريباً طولاً و50 كم عرضاً. لاحقاً، ومنذ خريف ذلك العام، شكلت الإدارة الذاتية مجالسها المحلية الخاصة المعروفة بالكومينات، والتي لم تظهر لها حتى الآن آثار فعالة في الجوانب المسؤولة عنها. في سلوك يتجنب معظم الناس تقييم أداء الكومينات، وتبرر القلة المدافعة عنها تأخر نشاطها بقلة الموارد المالية وبالخراب الكبير الذي لحق بالبنى التحتية في قطاعات الخدمات والصحة والزراعة والتعليم

تزدحم سلوك اليوم بآلاف العوائل النازحة من مدينة الرقة وقراها، ويصعب الوصول إلى رأي أهل البلدة الأصليين ممن لم يشاركوا في أي نشاط عام خلال السنوات السابقة. فكل ما يهمهم اليوم هو عدد ساعات الكهرباء التي عادت بعد انقطاع كامل منذ أيام، وفق برنامج تقنين يمنحهم ساعتين أو ثلاثاً كل يوم. أما المياه فمقطوعة تماماً منذ سنوات، ما جعلهم يعتمدون على الآبار كمصدر وحيد لمياه الشرب. قامت منظمة Concern Worldwide بتأمين مضخات ومولدات كهرباء ووقود لبعض الآبار في بلدة سلوك وبعض القرى، وفي أخرى اعتمد الأهالي على المياه المنقولة بالصهاريج. في الزراعة تبدو الصورة مأساوية مع هجران آلاف الفلاحين أراضيهم بسبب ارتفاع تكاليف العمل الزراعي، وخاصة أسعار الوقود اللازم لتشغيل محركات جر المياه من الآبار الارتوازية، إذ يصل سعر برميل المازوت إلى 45 ألف ليرة سورية (حوالي 90 $)، إضافة إلى غلاء اللوازم الأخرى من سماد وبذار وأدوية وحراثة ونقل، كما يعدد أبو محمود، الفلاح الذي تجاوز الستين عاماً وحاول مؤخراً أن يزرع أرضه بعد طول غياب فوقفت في وجهه العوائق السابقة، ليعتكف في منزله وينتظر من شهر إلى آخر القليل الذي يرسله ابناه اللاجئان في تركيا. تربية الأغنام كانت المهنة الثانية في منطقة سلوك، قبل أن تتلاشى أو تكاد بسبب تقلص مساحات المراعي المتاحة وتقييد حركة الرعي والتنقل بالمواشي، وشح المياه التي كانت توفرها الآبار العامة المجانية التي توقفت هي الأخرى، وعجز المربين عن تحمل تكاليف الوقود لتوفير المياه من آبار خاصة، وكذلك ندرة العلف وارتفاع أسعاره، ثم النزيف الحاد الذي تعرضت له الثروة الحيوانية بتهريبها إلى الأراضي التركية القريبة (10 كم شمال سلوك). ومع كل هذا لا توجد فرص عمل بديلة، وتعتمد معظم العائلات على تحويلات أبنائها المقيمين او اللاجئين في الخارج.

في قطاع الصحة ليس في سلوك والقرى الكثيرة التابعة لها أي مشفى أو مركز طبي أو مستوصف عام، باستثناء مستوصف افتتحته منظمة IRC في قرية حمام التركمان على بعد 15 كم تقريباً عن سلوك. وتتولى 10 عيادات طبية خاصة، باختصاصات (داخلية، نسائية، أطفال)، و7 صيدليات، خمس في بلدة سلوك مع العيادات، واثنتان في القرى، الشأن الطبي في المنطقة كلها. ويضطر معظم المرضى المصابين بأمراض تعجز عنها العيادات إلى السفر إلى مدينة القامشلي للعلاج، إن تعذر في مدينة رأس العين الأقرب.

الهاجس الأكثر إلحاحاً على السكان هو الهاجس الأمني خوفاً من الاعتقال تحت ذرائع مفتعلة، كما يقول شاب نجح في الوصول أخيراً إلى مدينة جرابلس في رحلة طالت أياماً، هرباً من التجنيد الإجباري للقتال في صفوف ما يعرف بـ«قوات سوريا الديمقراطية». فكل يوم أو يومين لا بد أن تتم مداهمة أحد البيوت في بلدة سلوك بحثاً عن مطلوب للتجنيد، الأمر الذي سبب موجة نزوح جديدة في أوساط الشباب ممن لم ينزحوا من قبل، وسيق المئات ممن تعذر هروبهم فرادى إلى صفوف قسد. فيما شكّل بدو قرية الزيدي من الفدعان/عنزة قوة خاصة تحت اسم «لواء فرسان الجزيرة» انضوت تحت راية قسد، لكف شر pyd عنهم والخلاص من اقتحاماته شبه اليومية لقريتهم قبل التشكيل، حسب ما يقولون.

الوجه الثاني لعلي عقلة عرسان..!

د. عبدالقادر العلي

شاءت الأقدار أن تكون خدمتي العسكرية في حوران قرية صيدا شرق درعا حوالي العشرة كيلو مترات، اللواء 38 دفاع جوي، فاستأجرت بيتاً فيها بالقرب من مركز اللواء. صيدا مدينة باسم قرية، لجمالها وكثرة القصور فيها لأن عدداً كبيراً من أبنائها يعملون في الخليج. قررت وصديق لي أن نتسلى بعد الظهر بتمديد شبكة الكهرباء داخل البيوت بأي سعر كان، بدلاً من الجلوس طوال اليوم بلا عمل. وبعد أن مددنا أول غرفة أو غرفتين أحياناً في كل بيت لأناس يبدو عليهم العوز، وكنا قد قررنا أن نمددها دون مقابل. كنا قد اقتربنا من نهاية عملنا، وبدأنا بجمع أغراضنا، حتى دخل شخص وسلّم علينا، وسألنا إن كنا انتهينا من التمديدات عند جيرانهم، أجابه صديقي أجل انتهينا. قال عندنا ثلاث غرف يلزمها تمديد متى تبدؤون بتمديد الكهرباء لها، أجبته غداً يمكننا البدء بها، وخرجنا جميعاً من البيت، فاستوقفتنا امرأة عجوز وهي تحمل بيدها نقوداً ورقية ملفوفة، وحاولت أن تعطيني إياها إلا أنني رفضت أخذها، وحاولت مع زميلي ورفض هو الآخر، والرجل ينظر، قلنا لها إنها غرفة واحدة أو غرفتين لم أعد أذكر. خرجنا إلى الشارع فأشار الرجل إلى بيت عربي وقال أنا بانتظاركم غداً وافترقنا. قلت لصديقي يبدو وجه هذا الرجل مألوفاً لي. قال صديقي مازحاً: ربما رأيته في الأحلام، إلا أنني مقتنع أن هذه الملامح ليست غريبة علي. جئنا في اليوم الثاني، ووجدنا رجلاً طاعناً في السن وزوجته معه. رحبوا بنا وعرفوا أننا من سيمدد أسلاك الكهرباء لبيتهم. بعد قليل وصل الرجل الذي اتفق معنا، وجلس على كرسي بجانبنا يسألنا من أين نحن؟ وكم لنا في الخدمة؟ وكم حاولت النظر إليه لعلي أستعيد من ذاكرتي الضعيفة أين التقينا فلم أفلح، حينها قررت أن أسأله ماذا يعمل وما هو اسمه. سألته ماذا تعمل وأين قال: أنا رئيس اتحاد الكتاب العرب، قلت له أنت علي عقله عرسان. ابتسم ابتسامة المعتد بنفسه، وأردف نعم أنا هو، قلت مصادفة طيبة أن التقيناك، ودار حينها حديث بيننا لا أذكر تفاصيله، ولكن حول الاتحاد ومهامه وانجازاته ودوره إلى أن انتهينا ذلك اليوم من عملنا، ولم نشرب كأس شاي أو فنجان قهوة. عدنا في اليوم الثاني، وكان كسابقه ناشفاً بلا أي ضيافة، وعلي عقلة عرسان يحدثنا عن مآثره في الاتحاد ولقاءاته مع الرئيس والوزراء وأسفاره بين البلدان، وأصبح صديقي يتململ من أحاديثه، وأعرف أن صاحبي له لسان سليط، ولكن بقي القليل من تمديد الأسلاك لإتمام العمل، ومع ذلك أصر صديقي وقالها بصوت مرتفع، لنذهب للبيت نشرب فنجاناً من القهوة ثم نعود. لم ينبس رئيس الاتحاد ببنت شفة، خرجنا ولم نعد ذلك اليوم، إلا أن صديقي كره الذهاب مرة أخرى للانتهاء من العمل، فألححت عليه وذهبنا فوجدنا «عرسان» جالساً بانتظارنا. اتممنا العمل بسرعة وجمعنا أغراضنا وهو ينظر إلينا، ونحن بدورنا ننظر إليه علّه يسألنا كم حسابكم أو شيء من هذا القبيل، ولكنه ظلّ ينظر إلينا بوجه بارد وخال من أي تعبير، حينها بادره صاحبي، ممكن تحاسبنا يا أستاذ؟ رد بوقاحة. أحاسبكم على ماذا؟ قال له زميلي على أتعابنا في بيتك، قال: أنتم عساكر وشاهدتكم مددتم لجيراننا مجاناً واعتبرونا مثلهم. نظر صديقي إلي مستغرباً وغير قادر على الرد، قلت له نحن مددنا لجيرانكم مجاناً لأنهم فقراء، لكن أنت لست فقيراً، قال وبكل برود البعثي المسؤول، الذي يرى واجب الناس خدمته، طيب طيب أنا أمر لعندكم ونتفاهم بعد أن عرف عند من نسكن، ومن يومها لم أرَ وجه علي عقلة عرسان، وحين سألنا عن البيت، عرفنا أن قاطنيه أبوه وأمه، وما زلت أطالب وزميلي بأجرة تمديد بيت أبي علي عقلة عرسان.

تساؤلات عما يجري في الرقة

طارق عبد الغفور

ما يجري في الرقة يثير حقاً تساؤلات لها ما يبررها، فالعدد الكبير ممن يسقط من الشهداء، والدمار الكبير الذي تشهده شوارعها وأحياؤها ويشهده ريفها نتيجة قصفها بالطيران وبالمدفعية لا يمكن تبريره. أول هذه التساؤلات نطرحها على قوات سورية الديمقراطية وقوات النخبة التي تقاتل لتحرير الرقة من داعش فنقول: وقع خيار الأمريكان عليكم لتكونوا الشريك الذي يعملون معه على الأرض لتحقيق الغاية التي يريدونها -كائنة ما كانت هذه الغاية- كما قالت هيلاري كلينتون في مذكراتها، وقامت بتسليحكم وتدريبكم على يد خبرائهم الذين يرافقونكم في الميدان، فعلام درّبكم «أصدقاؤنا الأمريكان»؟ إنهم لم يدربوكم بالتأكيد على القصف بالطيران، ولا يحتاج القصف المدفعي العشوائي من بعيد على أهداف لا ترونها إلى تدريب كما نتجرأ على القول، ولعلنا نتكهن فنقول إنهم دربوكم على نوع من أنواع الحروب يُسمى بحرب المدن، ومن بدهيات حرب المدن أنه لا يُستعمل فيها لا السلاح الثقيل ولا القصف بالطيران ولا بالمدفعية، وخاصة إذا ما كان سكان هذه المدن ما زالوا فيها ويتخذهم العدو دروعاً بشرية، فلماذا تعمدون إلى استعمال المدفعية والسلاح الثقيل الذي لا يفعل فعله بالعدو بل بالمدنيين بشراً وحجراً، ولماذا لم تلفتوا انتباه «الأصدقاء الأمريكان» إلى هذه البدهيات التي ربما نسوها؟ ولماذا لم تلفتوا انتباههم إلى أن «أهلكم» الذين جئتم لتحريرهم من داعش لا لقتلهم، ما زالوا فيها؟ وإلى أن الدمار الذي تُحدثونه إنما يُصيب «دياركم» أنتم كما يُفترض لا ديار عدوكم.

وتساؤل آخر نطرحه على «أصدقائنا الأمريكان» هل تغيّرُ التكتيك العسكري الأمريكي ضد داعش من الإنهاك إلى الإنهاء بحسب وزير الدفاع في مقابلة تلفزيونية يعني بالضرورة تدمير وإنهاء المدن؟ وهل لا بدّ من التدمير والتخريب لكي يُقال إن المعركة مع داعش في الرقة هي شرسة وطويلة كما قال رايان ديلون المتحدث باسم قوات التحالف التي تقودونها؟ أليس في التاريخ حروبٌ ليست طويلة وليست شرسة؟ لقد صار مكشوفاً تواطؤكم مع الإيرانيين وأذنابهم في العراق على تدمير مدينة الموصل، فهي مدينة السُنّة الأولى في العراق، ولسنا نحن الذين نتحدث بلغة طائفية، بل هم الذين يزعمون أنهم احفاد الحسين، وهو منهم براء، ويفعلون ذلك على شاشات التلفزة وبلا حياء. ولكن ماذا عن الرقة، وما هو مبرر تدميرها؟ إنها بالتأكيد ليست مدينة السُنّة الأولى في سورية. وليست الميليشيات الإيرانية هي التي تقوم بتحريرها من داعش، وما نشرته الاسوشييتدبرس في تقرير لها في السابع والعشرين من الشهر الجاري على لسان الناطقين باسم «قسد» مثل مصطفى بالي الذي يرأس المركز الاعلامي لـ«قسد» عن الهجمات المعاكسة التي تشنها خلايا داعش النائمة، وجهاد خطاب الذي يتحدث عن الأنفاق الطويلة والعميقة التي يجدون واحداً منها في كل مائة متر، كل ذلك لا يعدو كونه تضخيماً يهدف إلى تبرير القصف الهمجي على المدينة، فلم تنشر الوكالة، ولا أية وكالة أخرى أية صورة لأي نفق، ولم يتحدث القادمون من جحيم الرقة، كما لم تذكر التقارير الصحفية التي تخرج من الرقة شيئاً ذا بالٍ عن ذلك الكمّ الهائل من المتفجرات والمفخخات التي أبطأت وتيرة تقدّم «قسد» في المدينة كما نشرت الوكالة على لسان نسرين عبد الله الناطق الرسمي باسم «قسد».

وتساؤل آخر نطرحه على المؤتلفين الذين يطالبون بإدراج حزب صالح مسلم في لائحة المنظمات الإرهابية، ماذا فعلتم لتوثيق انتهاكات قوات هذا الحزب في الرقة؟ ألستم بحاجة إلى وثائق تقدمونها لتبرير طلبكم أم أنكم توثقون سراً ما يحدث في العلن؟ إن موقفكم مما يحدث في الرقة ليس إلاّ فشلاً يُضاف إلى رصيدكم منه في معالجة قضية الشعب السوري، ولن نُطيل في مناشدتكم ولا في الطلب منكم إذ لا يمكن أن نطلب خيراً ممن ليس فيه خير، فنكتفي بأن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، وإنا لله وإنا اليه راجعون.

إمبراطورة قيد التتويج..!

..(إلى الرقّة الزينة)..

عصام حقي

هبّت الرياح العاتية.. فألغى الإعصار مواعيد استراحته.. وخلعت أمواج الفرات أثواب سكونها.. صرخت حنجرة وليدة للتوّ بفرح: تحطّم الصنم... صنم كبيرهم (زوس).. تحطّم الصنم...

وما عاد القادمون إلى المدينة البِكْر، ومغادروها مرغمين على تأدية طقوس الطاعة لحضرته تحت ارتجاجات العصا الغليظة..

.....

تهاوى (زوس) كبير الآلهة.. وبال عليه الربيع، بعد خمسين خريفاً من الحصر والحصار، بال عليه!!

.....

استشاط الابن الأخرق غضباً وهو يضمّ أصابع يده ويمدّ سبّابتها ويهزها بوجه الأفق الوليد والإنسان المنبثق من تربة الغيظ في إشارة للانتقام القادم قائلاً: سألغي المدينة البكر من خارطة العنفوان، وأعاقب كلّ من تطاول على أبي (زوس) العظيم..!

وأنتم: أيها العبيد الأرقّاء.. وحقّ نعاج الإله (أبولو): سأزلزل بيوتكم، وأبعثر حجارتها، وأصبغ ماء الأنهار بدمكم.. وأرسم تضاريس مدينتكم على خارطة العقم والجفاف.

.....

باع الابن الأخرق أثوابه الداخلية في أسواق الحماية، واستغاث بالشياطين للدفاع عن الكرسيّ المغتصب..

راح يفتح أبواب الكهوف المغلقة والزنزانات العفنة.. ويطلق سراح العرابيد المقيّدة، ويرسلها باتجاه المدن النائمة بهدوء على نسمات الصيف ومواويل الماء وأناشيد الخضرة والضفاف الساحرة...

.....

قال الأخرق للعرابيد في الاجتماع الصباحي بعد ترديد الشعار، وقبل المجازر: أريد أن تمحقوا المدينة وتجعلوها صحراء قاحلة، أريدكم أن تجعلوا أهلها يرون نجوم الظهر في كبد السماء ظهراً...

وقال: اقتلوا شيوخهم ونساءهم وأطفالهم، دمّروا بيوتهم، شرّدوهم إلى كل فجّ عميق..! لا ترحموا أحداً، لا تذروا ملمحاً من ملامح الحياة والجمال والخصب يتراءى في شعابها..

.....

هكذا انطلقت نحوها عرابيد الأرض، وحلفاؤها من غربان الفضاء لتعيث بها خراباً وفساداً، وتحوّلها إلى أطلال تُذكّر الأجيال جيلاً بعد جيل بأن التريّة جينات متوارثة ونطف مزروعة بأرحام الشر والجريمة..

.....

على جسور الزمن يعود الربيع إلى الرقّة ليلقي تحيته على (الزينة) التي خلّفها في أبهى صور النقاء والجمال، ليجدها خاوية على عروشها، حزينة تصفّر فيها الرياح.. وقد اصطبغت جداولها بلون المآتم السود..

.....

ملأ الربيع جعبته بالخضرة والغيث وألوان قوس قزح والتجدّد وهتف بالوجوه المنهكة قائلاً: ها أنا قد عدتُ إليكم بنسغ الحياة والتجدد والنهوض، فلا تهنوا ولا تتخاذلوا، فالأمهات سينجبن كلّ صباح آلاف الأطفال.. والبراعم ستتفتّق ثانيةً، وتزهو بالحسن والبهاء...

وأنتِ أيتها الجبال والرمال...

يا أشجار الزيزفون والزلّ المتدلّية بغنج لتغسل جدائلها بعذبِ الفرات السرمديّ...

ويا أيها الشهداء ال: رحلوا والشهداء المنتظرون على درب الصعود والارتقاء على براق الشهادة.. يا كل من عانى القهر والظلم على مطهر سيزيف من أجل الغد والتنوير...

أشهد أمامكم ولكم:

أنّها الرقّة الزينة... وأنها إمبراطورة العصر وسيّدة المدائن.. وهي.. هي وحدها التي استطاعت أن تنجب الغد من رحم الفاجعة، وتؤلّف بحروف لحمها الطري ملحمة التحدّي.. وتكتب بدم شهدائها على ركام المدينة إرادة التجدّد.. إرادة النهوض والاستمرار.. إرادة الحياة..

زبد سيل سيذهب غثاءً..!

فوز محمد الفارس

لقد قتلت الثورة على يد أولئك المتذبذبين الذين جعلوا من الفتنة ونظرية المؤامرة قميص يوسف المخضَّب بالدم والذي اختفت في ثناياه الحقيقة، وقد أبدعت الأنظمة العربية كلها في تفريغ المطالب المحقة للشعوب من محتواها حين ربطتها بخيوط خارجية لم تكن موجودة إلا في خيالها الموغل في الشرور، وهذه الحجة التي هي أوهن من بيت العنكبوت، جاءت لتبرير عنفها المفرط الذي لجأت إليه لإفشال هذه الثورات حيث ألصقت بها كل التهم من خيانة وعمالة للخارج.

لم تكن تلك الأنظمة لتنجح في ذلك لولا تلك الفئات التي تشابكت مصالحها معها، وشكلت دعامة أساسية لها، وهذه الفئات في العموم تفضل الركون إلى حياتها المستتبة المألوفة، وتتجنب المقامرة بمصالحها التي تمشي في ظل هذه الأنظمة بيسرٍ وسهولة، لذا تستميت هذه الفئة بالحفاظ على مصالحها المرتبطة بالنظام من مصير غامض وغير محدد الملامح يتربصها في حال سقوط النظام ودخول البلاد في نفق مظلم قوامه الفوضى التي قد تطيح بهم وبمصالحهم وتجعلهم أثراً بعد عين.

من أجل هذا حسمت هذه الفئات أمرها وقررت الانحياز إلى الأقوى ولو كان ظالماً في الخفاء تارةً وفي العلن تارةً أخرى، وحجتها في ذلك مصالحها ولأجل ذلك تسوق المبررات للطرف الآخر لعلها تفلح في مسك العصا من الوسط، وحين يقع عليها حيفٌ أو ظلمٌ من قبل الفئة الظالمة التي انحازت إليها تراها تصبر وتتجلَّد فهذا برأيها أهون الشَّرين.

لم يعد خافياً على أحد أن هؤلاء يطيلون في عمر الظلم، ويسهمون في ترجيح كفَّة الباطل على الحق ولسان حالهم يقول: «من تعرفه خيرٌ ممن تتعرَّف عليه».

حقيقة إن الصَّبر الذي تمتلكه فئات كهذه على أنظمةٍ لا تفرِّق بين معارضٍ أو موالٍ يبعث على العجب. أيعقل أن مكاسب هزيلة لا تسمن ولا تغني من جوع، قِوامها الاتِّجار بمصائب الناس وآلامها -والتي أصبحت كريعٍ دائم يذهب إلى جيوبٍ أشبه بالقربة المثقوبة لا تعرف الامتلاء-تدفع بالبعض إلى بيع ضمائرهم أو تغليفها لتحفظ في مكان بعيد؟!

إنه لمن السُّخرية بالفعل أن تتدهور أحوال الشعوب بعد ثورات أفنت حياة خيرة الشباب، ودمرت أيضاً حياة كل من يمتُّ لهم بصلة بينما تزدهر أحوال تلك الفئات التي اعتصمت بالنظام وتحصنت به من منتفعين ووصوليين وجهلة لم يكونوا قبل الثورة شيئاً مذكوراً، وحتى النظام نفسه لا يملك أية ثقة بهم فهم ليسوا أكثر من أداة طيِّعة ومناسبة للمرحلة التي لن تدوم إلى الأبد.

هذا هو الحال في كل الثورات وعلى مرِّ الزمان يبدع المتسَّلقون على أكتاف الثورة في إيجاد الجدار الذي يتكئون عليه لحماية مكتسباتهم دون أن يفكروا في شرعية هذا الجدار وإمكانية صموده وقد ملأته الشُّروخ التي ستحيله إلى السُّقوط لا محالة.

سنينٌ ستٌّ وتزيد قد مضت من عمر الثورة، ورغم كل المشاهد المخزية والفاضحة لوحشيَّة النظام ولتجرُّده من الإنسانية نجد البعض منَّا قد تحوَّل إلى سيف بيد النظام يسَّلطه على رقاب أهله وإخوته بحجة إعادتهم إلى جادة الصَّواب، وإلى حضن الوطن الدافئ لإنقاذ ما تبقىَّ وكل ما يحصل نعيمٌ مقارنة بما سيحصل، وما ستؤول إليه البلاد في حال سقوط النظام.

نظام كرَّس الفقر والجهل والفساد الأخلاقي، وأذلَّ المواطن العادي حتى في لقمة عيشه التي كانت مغمَّسة بالدم، والآن أوغلت فيه أكثر فهل هناك عاقل يندم لأنه طالب بإسقاط نظام كهذا؟!

لن نتحدث عن الكبار والمتنفِّذين الذين يشكل اصطفافهم مع النظام أمراً طبيعياً بل أولئك الصِّغار اللذين ظنُّوا أن المال يرتق صغارهم ويرتقي بهم إلى مصَّاف الكبار -الذين يرونهم كباراً بمقاييسهم طبعاً- ومن هؤلاء شخصٌ عايشته عن قرب ويشكِّل أنموذجاً للمئات وربما الآلاف من أبناء جلدتنا ممن انحازوا إلى نظام غاشم لأجل مصالح شخصية ولإشباع غريزة التسلُّط وحب الظهور حيث أعمت بصيرتهم عن رؤية الحق واتِّباعه.

هذا الشخص ساهم بحمقه وتكبُّره بظلم أقرب الناس إليه. فقد سلّم أخاه الصغير للنظام مع سلاح لم يحمله، ولم يخرج في مظاهرة، بانتظار أحد الواصلين لدى النظام ليساعد بإطلاق سراحه إن اعترف بحيازته السلاح وقام بتسليمه. ظنّ أن منصبه الحزبيّ وتفانيه في خدمة النظام -هذا التَّفاني يتلخَّص بكتابة التقارير ورفع كل شاردة وواردة تحصل في القرية إلى الجهات الأمنية- ستشفع له عند النظام، ولو تفكَّر ذلك البعثي الأحمق في الأمر قليلاً لأدرك أن ما يطلبه النظام مجرد خدعة لإثبات التُّهمة على أخيه وعلى غيره من الشباب من حمل السلاح ومن لم يحمله، فكان ذاك السلاح المسلَّم سبباً في تغييبهم في غياهب السجون وانقطاع أخبارهم ليصار إلى تصفيتهم.

شخص كهذا يثق بالنظام أكثر من ثقته بنفسه، لكن الغبي وحده والأعمى يثق بنظام عرف غدره القاصي والداني أو هي ثقة الكاذب بالأكذب منه، لكن هل دفعه خطأٌ كهذا أودى بحياة أخيه إلى الندم والإحساس بالذنب؟ أبداً تابع ممارسة مهنته الحزبية القذرة، وكأن شيئاً لم يحصل، يوهم من حوله أنه خادم أمين لأهل قريته، تراه في الصفوف الأولى حين تُوزع المحروقات والمعونات الغذائية التي يسرق منها ما استطاع ليبيعها في بعض المحال التجارية العائدة لبعض أقاربه، ويرمي ببعض الفتات لثُلةٍ من ضعاف النفوس والمرتزقة الذين أصبحوا معه وجهاءً للقرية، وهذا اللفيف يتكون من جزَّار ودلّال كان سبَّاقاً في كل الدناءات يبيع ابنه وابنته لكل من هبَّ ودبَّ إضافة إلى بعض «العواينية» الصغار ممن يرمى لهم بالفتات ليضمن ولاءهم ونباحهم في سبيله.

لم يكن اعتقال أخيه الطعنة الوحيدة التي وجهها النظام إليه، بل تلقى طعنة أبلغ من الأولى عندما اعتقل النظام ابنته الجامعية وزوجها، لم يعلم أحد السبب وراء اعتقالها، وقد جاهد في إخفاء السبب، لكنه دفع مبلغاً كبيراً وبسبب هذا الأمر ضاع كل ما جناه من خلال متاجرته بحياة الناس وأقواتهم.

طمر نفسه فترة صغيرة كالنعامة، وما هي إلا أيام قليلة أعاد فيها شحذ خنوعه ليعود الخادم المطيع الذي يدوس على كرامته ويتمرغ بالوحل ليعوض خسارته ويرمم النقص فيما اكتسبه من مال في وقت سابق.

(Esklistuna)
(إسكليستونا)
درَّة الفرات السُّويدية

د. موسى رحوم عبَّاس

لا تـزال العلاقةُ بالمـكان ملتبسـةً رغـم كـثرة مـا كتـب عنهـا، فـلا يذكـر السَّـياب إلا ذكـرت (جيكـور) في العـراق، ونجيـب محفـوظ تسـكنه القاهـرة قبـل أن يسـكنها، وميـلان كونديـرا رغـم أنَّـه عـاش في فرنسـا معظـم سـنوات عمـره إلا أنَّ روحـه تحلِّـق في سـماء (بوهيميـا) ومـن يقـرأ روايتيـه (الوصايـا المغـدورة) أو (الجهـل) لا يجـد فيهـما غـير تلـك الـروح الهائمـة، كنـت أفكـر بـكل ذلـك وأنـا أضيـف عـلى وحـدات قيـاس الأطـوال وحـدة جديـدة، لم يكتشـفها أحـد مـن قبـل! منـذ عـدة سـنوات كلـما أردت تحديـد المسـافة بـين نقطتـين، مدينتـين، قريتين،...الـخ، أجـد عقلي الباطـن يحشر اسـم (الرَّقـة) بينهـما، حـدث هـذا كثـيراً، وآخـر مـرة كانـت وأنـا منطلـق مـن مدينـة (مرسـيليا) الفرنسـية رفقـة ابنـي معـاذ الـذي كان ينتظـرني في مطارهـا إلى مدينتـه طولـون (تولـون)، كنـت أحـدث نفـسي أنَّ المسـافة بينهـما هـي المسـافة بـين الرقـة وديـر الـزور، وعندمـا تجاوزنـا نصـف المسـافة، قلـت بقـي عـلى الرقـة سـتون كيـلاً، وأنـا أعنـي (تولـون)، قلـت لعلّهـا عابـرة، تكـرَّر ذلـك مـرات كثـيرة، وفي طريقنـا مـن (اسـتوكهولم) العاصمـة السـويدية إلى مدينـة (إسكلسـتونا) كنـت أسـأل صديقـي أسـامة: كـم بقـي عـلى الرَّقـة، وأنـا أعنـي مدينتهـم!

مدينـة (إسكلسـتونا) السـويدية مدينـة جميلـة، تقـع عـلى الطَّريـق بـين العاصمـة (اسـتوكهولم) عـلى بحـر البلطيـق شرق البـلاد ومدينـة (يوتيبـوري) ثـاني أكـبر مـدن البـلاد عـلى بحـر الشَّـمال، وتبعـد حـوالي مائـة كيـل عـن العاصمـة، ويسـكنها حـوالي المائـة ألـف مـن السُّـكان، وتبلـغ مسـاحتها حـوالي (31) كيـلا مربَّعـاً، مرتفعـة عـن سـطح البحـر (26) مـتراً فقـط.

يقـول سـكان المدينـة أنهـا كانـت أشـبه بقريـة متوسـطة العـدد مـن السـكان، لكنَّهـا الآن باتـت مـن المـدن الهامـة، بعـد أن اسـتقرَّ بهـا المواطنـون الجـدد كـما يسـمُّونهم، مـن العراقيـين والسُّـوريين وعـدد مـن الأفارقـة والأفغـان...، لكـن السُّـوريين وهـم الذيـن أودُّ الحديـث عنهـم، باتـوا يشـكِّلون نقطـة تحـوُّل في حيـاة هـذه المدينـة، فأنـت تتجـوَّل في مركزهـا

صباحاً وصوت فيروز يلاحقك، ورائحة فطائر الجبنة السورية والزعتر الحلبي تجعلك تبدأ يومك جذلاً، صارت للسُّوريين أسواقهم، وصار السُّويديون يشاركونهم ثقافة الطَّعام اللذيذ، فالأكل ثقافة، والمائدة ثقافة، كما بدأت النَّوادي الرِّياضية السُّورية بالانتشار، أنقل عن الكاتب السُّوري ملكون ملكون وهو كاتب من القامشلي/ قامشلو السُّورية، حيث ذكر في صفحته على وسائل التَّواصل الاجتماعيِّ أنَّ النَّوادي السُّورية قد بلغت (13) نادياً رياضياً ثقافياً، ومنها نادي (نبض شرقي) في مدينة (إسكلستونا)، وأن برامج رياضية تضم مباريات بين تلك الأندية قد تم تنفيذها، وذكر أن إحدى تلك المباريات ضمت قدامى لاعبي كرة السلة ومنهم: عمار الحسيني، كابي إيليا، نينوس إيليا، هبة الحسيني،..

مقهى (ديلو) في هذه المدينة واحد من تلك المقاهي السُّورية التي ترسم صورة لسوريَّة مُصغَّرة فالمالك سوري كردي والزَّبائن عرب وسريان وأرمن القاسم المشترك بينهم حبُّهم لسوريا، تنطلق الأغنية الكرديَّة فتميل أعناق الحضور، وربما تدمع عيونهم؛ لأنهم يترجمون كلماتها بقلوبهم؛ فهي بالتأكيد عن الحنين للأرض والأهل، إنَّه يشبه مقهى (الواحة) في الرَّقة، أو قهوة (عُصمان) في دير الزور، أو مقاهي رأس العين والحسكة وغيرها، اللاجئون السوريون ليسوا متسوِّلين، ولا عاطلين كما يصورهم ذلك المثقَّف البائس، الذي يعيش في باريس مع خَرَفه وأوهامه، بل هم فارُّون من الموت، وليسوا ضحايا كارثة طبيعية، بل يعرفون قاتلهم، والباقي تفاصيل في حكايتهم، قلت لأحد السُّويديين: هؤلاء ليسوا فقراء، ولا لاجئين اقتصاديين، بل هم متعلمون، ومعظمهم يتقن أكثر من لغة، إنهم هاربون من جحيم الطَّائرات والبراميل، سيشكلون إضافة حقيقية لبلادكم، إذا أحسنتم التعامل معهم، ولبت برامجكم طموحاتهم، أنتم بحاجة لإعادة النظر في تقويمكم لإمكاناتهم. قال لي أسامة الشابُّ الحقوقي: إنني سعيد جدًّا لأنني بتُّ أعمل في مصنع، الآن أنا دافع ضرائب ولستُ من يعيش على ضرائب الآخرين، والآخرون يسيرون على الطَّريق، ويسعون لاستكمال المهارات اللغوية التي تمكنهم من اقتحام سوق العمل؛ ليكونوا منتجين وفاعلين.

أخطر ما يواجه اللاجئ في البلاد تلك أن يعيش في فقاعته الخاصة منعزلاً، أن يبني (الجيتو) الخاص به؛ لأنه يبني سوراً أمام تواصله مع المجتمع المحلي، فيعيش على هامش الحياة.

الأطفال السوريون في مجتمعهم الجديد هم أكثر الفئات التي تنال الاهتمام من الحكومة، من حيث التعليم والصِّحة والسَّكن، لكنَّهم أكثر الفئات التي تواجه الذَّوبان التَّام فيه، فاللغة وسيلة التَّواصل الأساسية ربَّما تشكِّل العنصر الأهم في هذا الذَّوبان، فالأطفال باتوا يستعملون السُّويدية في حياتهم اليومية داخل المدرسة وخارجها، ولا أستبعد أبداً أن تقتصر معرفتهم العربية على لغة ذويهم الشَّفهية، أما القراءة والكتابة بها، فهذا حلم يبدو أحياناً غير واقعي في ظلِّ الظُّروف الحاليَّة، حتى المكتبة العامة في المدينة خصصت للكتب العربية حيزاً صغيراً، لم أجد فيه سوى مراهقين اثنين، يبدو لي أنهما هاربان من المدينة لمكان هادئ لتبادل أحاديث الغرام لا أكثر!

مسؤولية الأهل كبيرة جداً ومُكْلِفة للحفاظ على اللغة الأم لأبنائهم، كما تحتاج لجهود منظمة؛ كيلا تتعارض مع برامجهم السويدية الرَّسمية، أقول بحزن شديد: ربما فقدناهم للأبد، فلنحاول تقليل الخسائر لا أكثر!

طريق العودة والخبز والملح

كانت السَّيارة التي أصرَّ الشابُّ الحقوقيُّ أسامة الخضر على اصطحابي لمطار (أورلاندا) في العاصمة السويدية (استوكهولم) تسير بسرعة بطيئة بين حقول القمح الشاسعة، وتقطع بنا تلك البحيرة الجميلة الصَّافية، فقطعت الصَّمت بسؤالٍ، ربما فاجأه قليلاً، قلتُ: أتعرف نوع هذا القمح؟ أجاب بتردد: لا، قلت: إنَّه القمح (السُّوادي) ونحن أهل الجزيرة السُّورية نعرفه تماماً، من حجم السُّنبلة وطول ساقه، ونزرعه لمواصفاته العالية، وطحينه الجيد، فنظر إليَّ مندهشاً، وكأنَّه يستفسر عن علاقة ذلك بما أودُّ الحديث عنه؟

أجبته ضاحكاً: سُوادي يعني (سُويدي)، كما هو القمح الفرنساوي يعني الفرنسي!

قال: وماذا يعني ذلك؟

قلت: يعني أنَّنا بيننا وبين السُّويد خبزٌ ومِلحٌ، ونحن شعب وفيٌّ وأصيلٌ، لا يخون الخبزَ والملحَ.

لأجل أطفال سوريا.. إبداعات نسوية مغاربية

الحرمل - خاص

في بادرة نوعية قامت مجموعة كبيرة من الأديبات المغربيات (تونس ـ الجزائر ـ المغرب) بإصدار كتاب: «إبداعات نسوية مغاربية.. لأجل أطفال سوريا»، وصدر عن منشورات المثقف، ولوحة الغلاف للطفل محمد ريان إبراهيم.

وتقول الأديبة الجزائرية مهرية بن زرارة: هذه محاولة إنسانية لتخفيف ألم الأطفال السوريين في معاناتهم ومحنتهم الكبرى، وتأتي في إطار حملة واسعة للتضامن مع أهلنا في سوريا الجريحة، وسنقوم بتقديم ريع هذا الكتاب للأطفال السوريين، وقد ساهم في الكتاب 54 كاتبة مغاربية في خطوة تضامنية مع أطفال سوريا الذين يتعرضون للموت والتهجير والتدمير.

أسرة صحيفة الحرمل تشكر الأديبات المغربيات على مساهمتهم الجادة، ونظرتهم الإنسانية المتقدمة، وتعاطفهم مع أطفال سوريا، ونتمنى أن تتلوها خطوات شعبية من

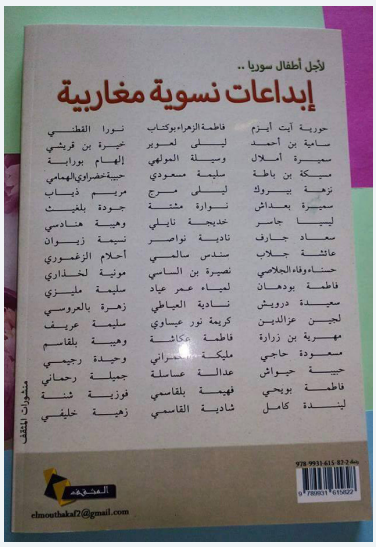

بلدان العالم العربي، تكون بمنأى عن سياسات الحكام التي اختارت الانحياز للظلم والاستكبار.

أيمن...!

نجاة عبد الصمد

كفتنة الموج يغزل خطواته بين السادة المترفين. مفتونٌ بأول الشباب، بصهيل الحياة في عينيه، وبطعم التفاحتين، والورد، والنعناع، والعنب، تمتزج كلُّها في رئتيه بطعم حريقٍ وطعم لقمة عيش.

- حاضر... جايي... يالله، يالله..

ويسبقه إلى تلبية النداء دخانٌ، وروائح مدوّخةٌ، ووعدٌ ببخشيش...

يتلملم كلطخة عارٍ ويركض هارباً نحو المطبخ حين يلمح معلمته تدخل من بوابة المطعم.

أيمن؛ طالب المدرسة الإعدادية المتفوّق هذا، والمفتونُ بشبابه، لا يعرف أنه يفتن معلّمته، أنها ترى في عينيه، وعيون رفاقه الساخطة على زمنها الرديء وعداً بأولادٍ أبهى من آبائهم ومنها. سخطهم قناعُ يقظةٍ تمنح المعلمة إحدى حوافزها النادرة في مهنة التدريس.

ستخترع في درس الغد أية مناسبةٍ بلهاء لتحكي من غير أن تتطلّع إلى أيمن، أنّ المعلّمة التي صارت تمتلك بيتاً بعد طول عذاب، وتزيّن عنقها بسلسالٍ ذهبيّ؛ كانت يوماً ما، في عمرٍ أصغر من أعمارهم قليلاً، تبيع شتلات البندورة والفليفلة والباذنجان في سوق الخضرة، وتضمن من أرباحها الصغيرة مصاريف دراستها. وأنه حدث مرّةً أن مرّتْ زوجة خالها من السوق، ولمحتها الطفلة الصغيرة تلك، وأخفَتْ رأسها بين ركبتيها ريثما تبتعد زوجة الخال. وأنها اليوم، لو يعود بها الزمن إلى ذلك اليوم البعيد؛ لأبقتْ رأسها مرفوعاً...

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete

SAYI: 66 YIL: 3 (2017)

İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED

BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

FB.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa